

حديث : ما نهيتكم عنه فاجتنبوه

08:04:54 2005-08-08 | الشبكة الإسلامية



متن الحديث

عن **أبي هريرة** رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ؛ فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم) رواه البخاري ومسلم .

الشرح

لقد ارتضى الله سبحانه للبشرية الإسلام ديناً ، وجعله الدين الخاتم الذي لا يقبل من أحدٍ سواه ، وكان من سمات هذا الدين قوامه على الأوامر والنواهي ، فهو يأمر بكل فضيلة ، وينهى عن كل رذيلة ، ومن هنا جاء هذا الحديث ؛ ليبين الموقف الصحيح تجاه هذه الأوامر والنواهي.

وقد جاء في صحيح **مسلم** بيان سبب ورود هذا الحديث ، فعن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا) ، فقال رجل : أكلٌ عام يا رسول الله ؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم) ثم قال : (ذروني ما تركتكم ؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) ، وفي رواية أخرى : (ذروني ما تركتكم) ، فأرشد صحابته إلى ترك السؤال عما لا يحتاج إليه .

ولا يفهم من النهي عن كثرة السؤال ، ترك السؤال عما يحتاجه المرء ، فليس هذا مراد الحديث ، بل المقصود منه النهي عن السؤال عما لا يحتاجه الإنسان مما يكون على وجه الغلو أو التنطع ، أو محاولة التضييق في أمر فيه سعة .

وإذا نظرت إلى منهج الصحابة في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لوجدت أسئلتهم على قسمين :

القسم الأول : السؤال عما قد وقع لهم ، أو أشكل عليهم ، فمثل هذه الأسئلة مأمور بها شرعاً ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أمر عباده بسؤال أهل العلم ، وها هم الصحابة رضوان الله عليهم قد ترجموا هذا الأمر عملياً ، فقد سألوا عن الفأرة التي سقطت في سمن ، وسألوا عن متعة الحج ، وسألوا عن حكم اللقطة ، إلى غير ذلك .

القسم الثاني : سؤالهم عما يتوقعون حصوله فعلاً ، ومن ذلك : ما رواه الإمام **مسلم** عن **رافع بن خديج** رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إنا لاقوا العدو غداً وليس معنا مدى ، فقال : (ما أنهر الدم ، وذكر عليه اسم الله فكل ، ليس السن

والظفر) ، ومن ذلك أيضا سؤالهم عن الصلاة أيام الدجال ، عندما يكون اليوم كالسنة ، فأجابهم : **(اقدروا له قدره)** .

وفي الحديث إرشاد للمسلم إنكيفية التعامل مع الأحكام والنصوص الشرعية ، ففي قوله صلى الله عليه وسلم **(ما نهيتكم عنه فاجتنبوه)** أمر باجتناب كل ما نهى عنه الشرع ، سواء أكان محرماً أم مكروهاً ، وتأكيداً للمعنى السابق جاء التعبير بلفظة **(اجتنبوا)** ، فهي لفظة تعطي معنى المباحة ، فكأنك تكون في جانب ، والمعاصي في الجانب الآخر ؛ لذلك هي أبلغ في معنى الترك .

أما فيما يتعلق بالأوامر ، فلم تُكلف إلا بما نستطيع ، وما يدخل في حدود الطاقة ، فإذا عجز المكلف عن أمر ، جاءه الشرع بالتخفيف ، وهذا يدل على يسر الإسلام وسماحته ، كما قال الله عز وجل : **{ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر }** (البقرة : 185) ، وانطلاقاً من هذا المعنى ، استنبط العلماء قاعدة فقهية مهمة ، وهي قاعدة : (المشقة تجلب التيسير) ، وجعلوها مبدأ ترتكز عليه كثير من الأحكام الفقهية .

والملاحظ هنا أن الشريعة قد شددت في جانب المنهيات أكثر من الأمور ، فعلقت تنفيذ الأوامر على الاستطاعة ، بخلاف النهي ، وذلك لأن الشريعة الغراء تسعى دائماً للحد من وقوع الشر ، والحيلولة دون انتشاره ، ولا يكون ذلك إلا بالابتعاد عما حرّم الله عز وجل ، ولذلك يقول الله تعالى في محكم تنزيله : **{ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان }** (النور : 21) ، فحرّم الأسباب المؤدية إلى الوقوع في الحرام ، ومن باب أولى تحريم الحرام نفسه .

ومن خلال ما سبق ، يتبين لك أيها القاريء الكريم خطأ كثير من المسلمين ، الذين يجتهدون في فعل الطاعات ، مع تساهل عظيم في ارتكاب المحرمات ، فتراهم يصوم مع الناس إذا صاموا ، فإذا جنّ عليه الليل لم يتورّع عن مقارفة الذنوب ، وارتكاب المعاصي ، ناسياً - أو متناسياً - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مرشداً أمته : **(اتق المحارم تكن أعبد الناس)** رواه **الترمذي** ، ولا يعني ذلك التهورين من أمر الطاعة ، أو التساهل في أمرها ، لكن كما قال **الحسن البصري** رحمه الله : " ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه " .

ومن دلالات هذا الحديث أنه يربي المسلم على الجدية في التعامل مع هذا الدين ، كما قال الله عز وجل : **{ إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل }** (الطارق : 13-14) ، وهذه الجدية تدعوه إلى أن يقبل بكلية على تعلم ما ينفعه من العلم ، ويجتهد في تربية نفسه وتركيتها ، مجرداً قلبه عن كل ما يشغله عن هذا الهدف الذي جعله نُصب عينيه .

وحتى يرسّخ النبي صلى الله عليه وسلم فيهم هذا المبدأ ؛ بين لهم خطورة الحيدة عن هذا المنهج الدقيق ، وأثر ذلك في هلاك الأمم السابقة ، والتي تكلفت في أسئلتها ، واختلّت على أنبيائها ، فكان سؤالهم تشديداً عليهم ، وكان اختلافهم سبباً لهلاكهم ، وخير مثال على ذلك ، ما كان عليه قوم **موسى** عليه السلام ، فإنهم لما طلب منهم ذبح بقرة ، تنطعوا في السؤال عن أوصافها ، وتكلفوا في ذلك ، وكان في سعتهم أن يأتوا بأي بقرة ، ولكنهم أبوا ذلك ، فشدد الله عليهم ، ولما اختلفوا على أنبيائهم ، لم تقبل منهم التوبة إلا بقتل أنفسهم ، وعاقبهم الله بالتية أربعين سنة ، والجزاء من جنس العمل .

وأخيراً : نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، والحمد لله أولاً وآخراً .